فاتخذوه عدوًّا

تنبيهات مهمة للتصدي لعداوة الشيطان

إعداد

د.عبدالرحمن سعيد الحازمي

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م


شبكة
الألوكة





فاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا

تنبيهات مهمة للتصدي لعداوة الشيطان

إعداد

د. عبد الرحمن سعيد الحازمي

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م







تمهيد

الحمد لله حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأصلي وأسلم على نبينا محمَّد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

يكتسب هذا الكتاب أهمية خاصة، إذ يتناول التحذير من أحد أخطر أعداء الإنسان وأشدهم عداوة، ألا وهو الشيطان الرجيم. وقد جاء في القرآن الكريم التنبيه على عداوته في مواضع عديدة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾(١)، بل جاء التأكيد باتخاذه عدواً، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾(٢). والشيطان من خُبث نفسه وفساد طويته لا يفتأ يتربص بالإنسان الدوائر، ساعيًا بكل جهده لإضلاله وصرفه عن طريق الحق، وقد تعهّد منذ الأزل بإغواء بني آدم، حين حكى القرآن الكريم قوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾(٣).

---

(١) يوسف: ٥.

(٢) فاطر: ٦.

(٣) الأعراف: ١٦-١٧.



وقد كان الدافع المباشر للكتابة حول هذا الموضوع ما سمعته من تلاوة أحد الأئمة -حفظه الله- في صلاة العشاء بأحد مساجد مكة المكرمة حرسها الله تعالى، حيث قرأ آيات من سورة النساء، كان من ضمنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[1]، فاستوقفتني هذه الآية الكريمة، ودعَتني إلى التأمل والبحث في تفسيرها وما تحمله من دلالات تربوية عظيمة، وبتوفيق من الله تعالى، تمكنت من كتابة ثلاثة مقالات متتابعة، نُشرت على موقع الألوكة -جزاهم الله خيراً-. ولأهمية هذا الموضوع فقد اقترح عليّ الأخ الكريم/ عبد الحكيم هاشم -جزاه الله خيراً- أن تُجمع تلك المقالات في مؤلف خاص لتعمّ بها الفائدة، وبعد تأمل في فكرته، وجدت في نفسي ميلًا لقبولها، وحرصًا على استثمار الوقت فيما يعود بالنفع والخير، عزمت على إعداد هذا المؤلف بعون الله وتوفيقه، سائلًا الله سبحانه أن ينفع به كاتبه وقارئه، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.

---

(١) النساء: ٧٦.



أحداث نشأة عداوة الشيطان

وأساليبه في الإغواء

جاء في كتاب الله الكريم تصويرٌ جليٌّ لعداوة الشيطان للإنسان، بدءًا من نشأتها ومرورًا بأساليبه في الإغواء، وانتهاءً بما أرشدنا إليه القرآن من سبل الوقاية والتحصن. ونظرًا لأهمية هذا الموضوع في حياة المسلم، سأتناول في هذا العرض بعض السور والآيات التي سلطت الضوء على هذه العداوة، مع تقديم ملخص لأهم المعاني والمقاصد التي وردت فيها، لتكون زادًا ومرشدًا لكل من أراد النجاة من كيده ومكره.

أولاً: بعض سور القرآن الكريم وأرقام الآيات التي أوضحت منشأ وأحداث عداوة الشيطان:

١. سورة البقرة: **(من الآية ٣٤ إلى الآية ٣٨).**

٢. سورة النساء: **(من الآية ١١٦ إلى الآية ١٢١).**

٣. سورة الأعراف: **(من الآية ١١ إلى الآية ١٨).**

٤. سورة الحجر: **(من الآية ٢٨ إلى الآية ٤٣).**

٥. سورة الإسراء: **(من الآية ٦١ إلى الآية ٦٥).**

٦. سورة طه: **(من الآية ١١٦ إلى الآية ١٢٧).**



٧. سورة ص: **(من الآية ٧١ إلى الآية ٨٥).**

ثانياً: ملخص أبرز ما ورد في الآيات السابقة:

هناك تشابه لمنشأ وأحداث عداوة الشيطان في مضامين الآيات المشار إليها، وهو من سمات القصص القرآني، ولكن بأساليب مختلفة وسياقات متنوعة، ولا شك أن لذلك حِكَمٌ وفوائد عظيمة، أشار إليها العلماء المختصون في مؤلفات خاصة، وإليكم ملخص لأبرز ما أشارت إليه الآيات:

١. أمر الله تعالى الملائكة وإبليس بالسجود لآدم عليه السلام، فسجد الملائكة، وامتنع إبليس عن السجود.

٢. سبب امتناع إبليس عن السجود هو الكبر، وأنه خير من آدم، فقد خُلق من نار وخُلِق آدم من طين.

٣. من الأسباب الرئيسة لتسلط الشيطان على الإنسان انحرافه عن منهج الله تعالى، وإهمال شرعه، رغم تحذير الله تعالى عن مآلات الانحراف وخطورته.

٤. حَرم الله تعالى إبليسَ من البقاء في الجنة ونعيمها؛ لعصيانه وتمرده.

٥. أعظم إغواء يحرص عليه الشيطان؛ الشرك بالله تعالى، فليس بعد الكفر ذنب.

٦. من استجاب لأماني الشيطان ووالاه وتابع خطواته المؤدية للشرك، فقد خسِر خسراناً مبيناً.

٧. الموفق من عَرَفَ الحق، وعلم عداوة الشيطان وأمانيه ووعوده الكاذبة قبل فوات الأوان.

٨. كتب الله تعالى على إبليس الذل والصغار في الدنيا والآخرة.

٩. تمادى إبليس في طغيانه، ووعد بأن يتربص بذرية آدم ويغويهم في كل اتجاه، حتى يبعدهم عن طاعة ربهم عز وجل، فيكونوا على شاكلته وحاله الشقية.

١٠. استحقاق إبليس العقاب الصارم من الله تعالى باللعن والطرد من رحمته في الدنيا والآخرة.

١١. حفظ الله عباده المخلصين من الإغواء لرعايته لهم، ولطاعتهم له بامتثال أمره واجتناب نهيه.

١٢. من اتبع الشيطان من عباد الله واستجاب له في الإغواء فمصيرهم جهنم أجمعين.

١٣. التأكيد على عداوة الشيطان للإنسان.

١٤. استخدام أسلوب الوسوسة في تزيين المعاصي، وإظهارها على غير حقيقتها.

١٥. الحرص والإسراع بالتوبة والاستغفار لمن وقع في المعاصي، قبل فوات الأوان.

١٦. العناية التامة بالتمسك بالقرآن الكريم والسنة المطهرة، وعدم الإعراض عنهما.

١٧. كل من أسرف وتمادى في عصيانه ولم يتب فإنه ينتظره يوم القيامة عذاب أشد وأبقى.

قد يسألُ سائلٌ: ما وجه العلاقة بين الشيطان في قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾(١)، وبين إبليس في الآيات السابقة من سور:

(١) النساء: ٧٦.

البقرة والنساء والأعراف والحِجْر والإسراء وطه وص؟ وبمعنى آخر: هل الشيطان هو نفسه إبليس؟ الجواب:

قال ابن عثيمين رحمه الله: "الشيطان هو إبليس، والشياطين يكونون من الجن والإنس؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً﴾[١]، بل يكون الشيطان من غير العقلاء؛ كما قال النبي ﷺ:"الكلبُ الأسود شيطان"[٢].

(١) الأنعام:١٢٢.

(٢) صحيح مسلم: حديث رقم: (٥١٠).

الشيطان أداة من أدوات الابتلاء في الدنيا

يجب أن يستقر في عقل المسلم ووجدانه أن الشيطان أداة من أدوات الابتلاء في الدنيا، فلا يخفى أن غاية وجود الإنسان في الدنيا هي عبادة الله تعالى مع وجود الابتلاء، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾[١]. والإنسان متعبد بالابتلاء، في خيره وشره، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[٢].

قال البغوي رحمه الله: "نختبركم بالشر والخير، بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر. وقيل: بما تحبون وما تكرهون، (فتنة) ابتلاء لننظر كيف شكركم فيما تحبون، وصبركم فيما تكرهون، "وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ""[٣].

وقال ﷺ: "عَجَبًا لأَمْرِ المؤْمِنِ، إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا له، وإنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكانَ خَيْرًا له"[١].

---

(١) الملك: ٢.

(٢) الأنبياء: ٣٥.

(٣) تفسير البغوي (٥/ ٣١٨).

ومن عظيم الابتلاء وشدته أن الشيطان مع الإنسان في كل أحواله، بل ويجري منه مجرى الدم، كما قال ﷺ: "إنَّ الشَّيطانَ يَجري مِن ابنِ آدمَ مَجرى الدَّم"[٢]. قال العيني رحمه الله: "قيل: هو على ظاهره، وأن الله، عز وجل، جعل له قوة على ذلك، وقيل: هو على الاستعارة لكثرة أعوانه ووسوسته، فكأنه لا يفارق الإنسان كما لا يفارقه دمه، وقيل: إنه يُلقي وسوسته في مسام لطيفة من البدن، فتصل الوسوسة إلى القلب"[٣].

لذلك يجب على المسلم أن يكون حذراً ويقظاً ومحاسباً لنفسه ومجاهداً لها أشد الاجتهاد، بالبعد عن الشهوات والشبهات، متبعاً ما أمره الله به، مجتنباً ما نهى عنه، حتى يكون في منأى عن تسلط الشيطان وإغوائه، ويصدق عليه قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٩٩٩).

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢١٧٤).

(٣) العيني، بدر الدين، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (١٥٢/١١).



رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[١]، قال سفيان الثوري رحمه الله: "ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب لا يُغفر"[٢].

---

(١) النحل:٩٩.

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٢٩٤).



أقوال العلماء في تفسير قول اللّه تعالى: ﴿إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[1]

الآية المشار إليها سبق التنويه في التمهيد أنها الدافع المباشر لكتابة هذا المؤلف، ولذلك من الأهمية عرض بعض أقوال العلماء في تفسيرها، ومن ذلك:

قال الطبري رحمه الله: "قال الله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[2]، يعني بكيده: ما كاد به المؤمنين، من تحزيبه أولياءه من الكفار بالله على رسوله وأوليائه أهل الإيمان به؛ يقول: فلا تهابوا أولياء الشيطان، فإنما هم حزبه وأنصاره، وحزب الشيطان أهل وَهَن وضعف"[3].

وقال السعدي رحمه الله: "والكيد؛ سلوك الطرق الخفية في ضرر العدو، فالشيطان وإن بلغ مَكْرُهُ مهما بلغ فإنه في غاية الضعف، الذي لا يقوم لأدنى شيء من الحق، ولا لكيد الله لعباده المؤمنين"[4].

---

(١) النساء: ٧٦.

(٢) النساء: ٧٦.

(٣) تفسير الطبري (٨/ ٥٤٧).

(٤) تفسير السعدي (ص: ١٨٧).



وجميل قول القاضي عبد الجبار الهمداني رحمه الله: "إن المراد بأن كيد الشيطان ضعيف، أنه لا يقدر على أن يضر، وإنما يوسوس ويدعو فقط، فإن اتبع لحقته المضرة، وإلا فحاله على ما كان، فهو بمنزلة فقير يوسوس إلى الغني في دفع ماله إليه، وهو يقدر على الامتناع، فإن وافقه فليس ذلك لقوة كيد الفقير، لكن لضعف رأيه واتباعه"(١).

(١) المنية والأمل (١/ ١٣٠)، وانظر: سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي، ترجمة القاضي عبد الجبار (١٧/ ٢٤٥).





تنبيهات مهمة للتصدي لعداوة الشيطان



أولًا: أصل العداوة: عصيان الشيطان وطرده من الجنة

كان عصيان الشيطان لربه سبحانه وتعالى ورفضه الامتثال لأمره بالسجود لآدم عليه السلام السبب الأساس في طرده من الجنة، ولقد دفعه غروره وكبره إلى التمرد، زاعمًا تفوقه على آدم لأنه خُلق من نار، بينما خُلق آدم من طين. وقد ورد ذلك في قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾(١)، تكشف هذه الآيات عن أصل العداوة بين الشيطان والإنسان، حيث كان استكبار إبليس ورفضه لأمر الله سببًا في طرده من الجنة، وإبعاده عن رحمة الله، ليصبح عدوًا للبشر، يسعى لإغوائهم وإضلالهم عن الصراط المستقيم.

---

(١) الأعراف: ١١- ١٣.

ثانياً: عواقب المعصية وخطورة الإصرار عليها

إن معصية الله تعالى تجلب الشقاء والوبال على العبد في جميع أحواله، وتزداد خطورتها حين يقترن بها الإصرار والمجاهرة، لا سيما إذا كان ذلك عنادًا وتكبرًا، كما كان حال إبليس، وقد حذر الله عز وجل من هذا السبيل فقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾[(١)]. قال الطبري رحمه الله: "ومن يعص الله ورسوله فيما أَمَرا أو نهيا ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾[(٢)]، يقول: فقد جار عن قصد السبيل، وسلك غير سبيل الهدى والرشاد"[(٣)].

وقال سبحانه: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾[(٤)]. قال ابن كثير رحمه الله: "أي: وبغَّضَ إليكم الكفر والفسوق، وهي: الذنوب الكبار، والعصيان؛ وهي: جميع المعاصي"[(٥)].

(١) الأحزاب: ٣٦.

(٢) الأحزاب: ٣٦.

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٧١).

(٤) الحجرات: ٧.

(٥) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٤٨).



ثالثًا: المعاصي تزيل النعم وتورث الذل

من استمر في العصيان وتمادى في الطغيان، غافلًا عن نعم الله عليه، ولم يقابلها بالشكر قولًا وعملًا، فقد عرّض نفسه للحرمان من فضل الله، فإن المعاصي سبب لزوال النعم، وهذا ما جرى لإبليس، فقد خسر النعيم الذي كان فيه بسبب كبره وعصيانه، فاستحق الطرد من رحمة الله، واستُبدل حاله بالعذاب والذل، قال تعالى: ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾[1]. قال السعدي رحمه الله: ﴿فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾؛ "أي: المهانين الأذلين، جزاءً على كبره وعجبه بالإهانة والذل"[2].

---

(١) الأعراف: ١٣.

(٢) تفسير السعدي (ص: ٢٨٤).

رابعاً: لعنة إبليس واستحقاقها

عندما بلغ طغيان إبليس ذروته عنادًا وتكبرًا، استحق اللعن، أي الطرد من رحمة الله في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾[١]. قال ابن عاشور رحمه الله: "وجعل يوم الدين وهو يوم الجزاء غاية للعن استعمالاً في معنى الدوام، كأنه قيل أبداً، وليس ذلك بمقتضي أن اللعنة تنتهي يوم القيامة ويخلفها ضدها، ولكن المراد أن اللعنة عليه في الدنيا إلى أن يلاقي جزاء عمله، فذلك يومئذ أشد من اللعنة"[٢].

---

(١) الحجر: ٣٤، ٣٥.

(٢) التحرير والتنوير (١٤/ ٤٧).





خامساً: إبليس ومساعيه في إغواء البشر

لم يستسلم إبليس بعد طرده من رحمة الله، بل استنفر كل طاقاته، كما هو حال أهل الفسق والفجور الذين لا يرضون الخير لغيرهم، ويسعون لإضلال الآخرين بدافع الحقد والكراهية، وقد صرّح إبليس بنيّته في إغواء البشر، فقال الله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[١]، فجاء الرد الإلهي معلنًا عاقبة من اتّبعه، فقال الله سبحانه: ﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا * وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾[٢].

---

(١) الأعراف: ١٦، ١٧.

(٢) الإسراء: ٦٣، ٦٤.



سادساً: الفِطْنَة في مواجهة سُبُل الغواية

يجب على الإنسان أن يكون فَطِنًا، متيقظًا لحاله، متأملًا في عواقب الآخرين، ليتّعظ بما يرى من أساليب أهل الفسق والضلال، فهم لا يكتفون بالانحراف عن الحق، بل يسعون إلى تزيين الباطل وإظهاره في صورة الخير والسعادة، بينما هم في حقيقتهم يتربصون بالناس، ويمكرون بهم، مُخْفين الشر في مظاهر براقة، كمن يدسّ السُّم في العسل، لذا، فإن العاقل هو من يحرص على عدم الانخداع بهم، ويعتبر بمصير من وقع في شِباكهم، فإن السعيد من اتعظ بغيره.





سابعاً: الشيطان ومكائده لإضلال الإنسان

ينبغي أن يستقر في ذهن المسلم أن جميع مجالات الغواية التي قد يقع فيها الإنسان، وأعظمها الشرك بالله، وانتشار الفواحش، وشرب الخمر، وسائر صور العداوة والبغضاء، ليست إلا من عمل الشيطان، يسعى من خلالها إلى إضلال الناس، وإبعادهم عن سبيل الله، وإهلاكهم كما هلك هو، وقد حذّر الله تعالى من هذه المكائد، فقال سبحانه: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾[١].

قال الطبري رحمه الله: "هذه الأعمال هي: من تزيين الشيطانِ لكم، ودعائه إياكم إليه، وتحسينه لكم، لا من الأعمال التي ندبكم إليها ربُّكم، ولا مما يرضاه لكم؛ بل هو مما يسخطه لكم"[٢]. وقال ابن عثيمين رحمه الله:

---

(١) المائدة: ٩٠- ٩١.

(٢) تفسير الطبري (١٠/ ٥٦٤).



﴿رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾، يعني أن هذا العمل من عمل الشيطان، أضافه إلى الشيطان؛ لأنه أوحى به وأمر به الإنسان"[١]. فالمؤمن الموفق هو من يعي هذه الحقائق، ويجتنب طرق الشيطان، ليستقيم على نهج الحق، ويفوز بالفلاح في الدنيا والآخرة.

(١) ينظر: رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٦/ ٥٠٠).



ثامناً: ذكر الله والصلاة سلاح ضد كيد الشيطان

يُعدُّ ذكر الله تعالى وأداء الصلاة من أعظم العبادات التي يتقرّب بها الإنسان إلى ربه، وهما في الوقت ذاته من أقوى الأسلحة التي تردُّ كيد الشيطان وتصرف أذاه، ولذلك، يسعى الشيطان بكل وسائله الخبيثة إلى صدِّ المسلم عنهما، كما حذَّر الله تعالى في كتابه الكريم بقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾(١).

وبيّن الله تعالى خطورة الإعراض عن ذكره، وما يترتب عليه من تسلط الشيطان، فقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾(٢).

قال ابن باز رحمه الله: "من يغفل، ويعرض عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ يُقيّض له الشيطان –نسأل الله العافية–؛ فمن غفل عن ذكر الله، وعن قراءة القرآن، وعن طاعة الله من الصلوات، وغيرها؛ قَيَّض الله له الشياطين حتى تصُدَّه

(١) المائدة: ٩١.

(٢) الزخرف: ٣٦.



عن الحق، وحتى تلهيه في الباطل -نعوذ بالله-. ومن قام بأمر الله، وأدى حق الله، واستعمل نفسه في ذكر الله، وطاعة الله، عافاه الله من الشيطان، وحفظه من الشياطين، نسأل الله السلامة".

والواجب على المسلم مجاهدة نفسه وترك الغفلة المسببة لمدخل الشيطان عليه في الصد عن ذكر الله وعن الصلاة؛ وأن يقابل ذلك بطلب الاستعانة بالله في الإكثار من ذكره، وهي وصية الرسول ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: "أوصيكَ يا معاذُ، لا تدَعنَّ في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ تقولُ: اللَّهمَّ أعنِّي على ذِكرِكَ، وشُكْرِكَ، وحُسْنِ عبادتِكَ"(١).

وأن يحرص أشد الحرص على المحافظة على الصلوات، استجابة لقول الله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾(٢).

---

(١) الألباني، صحيح أبي داود، (١٥٢٢).

(٢) البقرة: ٢٣٨.





تاسعاً: قوة الاعتصام بالله في مواجهة كيد الشيطان

قد يتساءل المتأمل في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[(١)]، كيف يتمكن الشيطان من إغواء الإنسان رغم ضعفه؟ ويمكن أن نجد الإجابة عند النظر في قول الله تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾[(٢)]، فكما أن الشيطان ضعيف، فالإنسان أيضًا ضعيف.

لكن الفارق في هذه المواجهة يكمن في قوة الاعتصام بالله، فمن احتمى بذكر الله والتزم بشرعه، امتلك القوة التي تضمن له الغلبة والانتصار، فبكثرة الذكر والطاعة يتحصن الإنسان من مكر الشيطان، ولا يكون له عليه سلطان.

(١) النساء: ٧٦.

(٢) النساء: ٢٨.



عاشراً: الاستعاذة بالله حصن من كيد الشيطان

من أعظم ما يصدُّ عداوة الشيطان ويدحر كيده، ما أرشد الله تعالى إليه من الاستعاذة به، فهي الحصن الحصين الذي يحمي الإنسان من وساوسه ونزغاته، وقد أمر الله بذلك في قوله سبحانه: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١]. كما بيّن عز وجل أهمية الالتجاء إليه من شر الشياطين وهمزاتهم، فقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾[٢]. قال السعدي رحمه الله: "أي وقت، وفي أي حال ﴿يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾؛ أي: تحس منه بوسوسة، وتثبيط عن الخير، أو حث على الشر، وإيعاز إليه؛ ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾؛ أي: التجئ واعتصم بالله، واحتم بحماه، فإنه "سَمِيعٌ" لما تقول، "عَلِيمٌ" بنيتك وضعفك، وقوة التجائك له، فسيحميك من فتنته، ويقيك من وسوسته"[٣].

---

(١) الأعراف: ٢٠٠.

(٢) المؤمنون: ٩٧، ٩٨.

(٣) تفسير السعدي (ص: ٣١٣).





الحادي عشر: عداوة الشيطان للإنسان وأمر الله باتخاذه عدواً

عداوةُ الشيطان للإنسان ظاهرة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[١]. قال ابن كثير رحمه الله: "بيَّن الله تعالى عداوة إبليس لابن آدم، فقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾؛ أي: هو مبارز لكم بالعداوة، فعادوه أنتم أشد العداوة، وخالفوه وكذبوه فيما يغركم به، ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾؛ أي: إنما يقصد أن يضلكم حتى تدخلوا معه إلى عذاب السعير، فهذا هو العدوُّ المبين"[٢].

فالواجب على المسلم أن يدرك هذه العداوة، ويكون على حذر منها، باتباع أوامر الله، والاستعاذة به من شرور الشيطان ووساوسه.

---

(١) فاطر: ٦.

(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٧٣).



الثاني عشر: اتباع الشيطان خسران مبين

كلُّ من اتَّخَذ الشيطان وليًّا، وسار في ركابه، فقد خسر دنياه وآخرته.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾[(١)]. قال ابن عثيمين رحمه الله: "وتولِّي الشيطان يكون بطاعته، فمن أطاع الشيطان وعصى الرحمن، فقد خسر خسرانًا مبينًا، والخسران ضد الربح؛ بل إن الخاسر هو الذي لم يحصل ولا على رأس ماله، فهو لم يربح بل خسر"[(٢)].

---

(١) النساء: ١١٩.

(٢) تفسير العثيمين: النساء (٢/ ٢٤١).



الثالث عشر: خداع الشيطان وعاقبة أتباعه

يسلك الشيطان أساليب ماكرة لإغواء الناس، فيُزيّن لهم الباطل، ويغمرهم بالوعود الكاذبة والأماني الخادعة، فإن استجابوا له، لم يتركهم حتى يوردهم المهالك، ليكون مصيرهم كمصيره من اللعن والعذاب في نار جهنم، وقد حذَّر الله تعالى من ذلك في قوله: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا * أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾[١]. قال القرطبي رحمه الله: "يعدهم أباطيله وتُرَّهاته من المال والجاه والرياسة، وأن لا بعث ولا عقاب، ويوهمهم الفقر حتى لا ينفقوا في الخير، ويُمَنِّيهم كذلك، وما يعدهم الشيطان إلا غرورًا؛ أي: خديعة"[٢].

---

(١) النساء: ١٢٠، ١٢١.

(٢) تفسير القرطبي (٥/ ٣٩٥).



الرابع عشر: الحذر من مكر الشيطان وتدرجه في الإغواء

نبَّه القرآن الكريم المؤمنين بخاصة والناس بعامة على مكر الشيطان وتدرُّجه في الإغواء حتى يصطاد فريسته ويضمها إلى حزبه في نار جهنم، وعبَّر عنها بالخُطُوات، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١]. وقال سبحانه: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢]. قال الطبري رحمه الله: "والمعنى في النهي عن اتباع خُطواته، النهي عن طريقه وأثره فيما دعا إليه، مما هو خلاف طاعة الله تعالى ذكره"[٣]. وقال السعدي رحمه الله:

---

(١) النور: ٢١.

(٢) البقرة: ١٦٨، ١٦٩.

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٣٠١).





"أي: طرقه التي يأمر بها، وهي جميع المعاصي من كفر، وفسوق، وظلم"[١].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: "كلُّ شيء حَرَّمه الله فهو من خُطوات الشيطان، سواء كان عن استكبار، أو تكذيب، أو استهزاء، أو غير ذلك؛ لأنه يأمر به، وينادي به، ويدعو إليه"[٢].

(١) تفسير السعدي (ص: ٨٠).

(٢) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٢٣٤).



الخامس عشر: التدرّج الشيطاني في الإغواء

يُشير التعبير القرآني بـ"خُطُوات الشيطان" إلى أن الشيطان لا يُغوي الإنسان دفعةً واحدة، بل يسلك معه طريق التدرّج، متّبعًا أساليب متنوعة، بحسب كل حالة وشخص. وقد بيّن ابن القيم رحمه الله هذا المنهج الشيطاني مُعدِّدًا سبع عقبات يتدرج فيها الشيطان في سبيل إغواء الإنسان، فقال رحمه الله: "إن الشيطان يريد أن يظفر به في عقبة من سبع عقبات، بعضها أصعب من بعض، لا ينزل منه من العقبة الشاقة إلى ما دونها إلا إذا عجز عن الظفر به فيها. وهي:

العقبة الأولى: عقبة الكفر بالله وبدينه ولقائه وبصفات كماله.

العقبة الثانية: عقبة البدعة، إما باعتقاد خلاف الحق الذي أرسل الله به الرسل وأنزل به كتابه، وإما بتعبُّد بما لم يأذن به الله.

العقبة الثالثة: عقبة الكبائر، فإن ظفر به فيها زينها له، وحسَّنَها في عينه، وسوَّف به، وفتح له باب الإرجاء.

العقبة الرابعة: عقبة الصغائر، فَكَالَ لَهُ مِنْهَا بِالْقُفْزَانِ، وقال له: ما عليك إذا اجتنبت الكبائر. (الْقُفْزَان: جمع قَفِيز. وهو مكيال معروف).

العقبة الخامسة: عقبة المباحات التي لا حرج على فعلها، فشغله بها عن الاستكثار من الطاعات.

العقبة السادسة: عقبة الأعمال المرجوحة المفضولة عن الطاعات، فأمره بها وحسنها في عينه وزينها له، وأراه ما فيها من الفضل والربح ليشغله بها عما هو أفضل منها.

العقبة السابعة: عقبة تسليط جنده عليه بأنواع من الأذى باليد واللسان والقلب، على حسب مرتبته في الخير، فكلما علت مرتبته أجلب عليه العدو بخيله ورَجْله، وهي تسمى عبودية المراغمة، ولا ينتبه إليها إلا أولو البصائر التامة، فمن تعبَّد الله بمراغمة عدوه، فقد أخذ من الصديقية بسهم وافر"[١].

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (١/ ٢٣٧-٢٤٢).

السادس عشر: مسؤولية الإنسان عن أفعاله

تقوم أفعال الإنسان على إرادته واختياره، فهو من يقرّر الإقدام أو الإحجام، والمسؤولية في ذلك تقع عليه وحده، وقد بيّن الله تعالى هذه الحقيقة في كتابه الكريم، فقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[١]. قال الطبري رحمه الله: "أي: قولنا لهم يوم القيامة: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[٢]، بما أسلفتْ أيديكم واكتسبتها أيام حياتكم في الدنيا، وبأن الله عَدْل لا يجورُ، فيعاقب عبدًا له بغير استحقاق منه العقوبةَ، ولكنه يجازي كل نفس بما كسبت، ويوفِّي كل عامل جزاء ما عمل"[٣].

(١) آل عمران: ١٨٢.

(٢) الحج: ٢٢.

(٣) تفسير الطبري (٧/ ٤٤٧).



السابع عشر: أثر البيئة في تأثير الشيطان

ينشط الشيطان ويجد بُغيته في البيئات الفاسدة، عندما يكون الإنسان في حالة من الضياع والبعد عن الله، فمن فقد الصلة بالله تعالى وضعفت علاقته بربه سبحانه، فأصبح لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا؛ هانت مهمة الشيطان ووجد ضالته، ويصبح فريسة سهلة له، أما في البيئات الصالحة، التي تعمر بذكر الله وتحيا في كنف الإيمان، فإن الشيطان يعجز عن التسلّط على أهلها، فكلما اقترب العبد من الله، ابتعد عنه الشيطان، كما قال تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾[١]. قال السعدي رحمه الله: "إن القلوب الطيبة حين يجيئها الوحي، تقبله وتعلمه وتنبت بحسب طيب أصلها، وحسن عنصرها، وأما القلوب الخبيثة التي لا خير فيها، فإذا جاءها الوحي لم يجد محلًّا قابلًا؛ بل يجدها غافلة معرضة، أو معارضة"[٢].

---

(١) الأعراف: ٥٨.

(٢) تفسير السعدي (ص: ٢٩٢).



الثامن عشر: تقوى اللّه حصن من الشيطان

إن المؤمنَ التقي محفوظٌ بحفظ الله من الشيطان وشَرَكِه، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[(١)]. قال الطبري رحمه الله: "إن الشيطان ليست له حجة على الذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا بما أمر الله به، وانتهوا عما نهاهم الله عنه، ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، يقول: وعلى ربهم يتوكلون فيما نابهم من مهمات أمورهم، أما غير المؤمنين فهو وليُّهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[(٢)]"[(٣)]. قال البغوي رحمه الله: "أي: قرناء وأعوانًا للذين لا يؤمنون وقال الزجاج: سلّطناهم عليهم يزيدون في غيهم؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾[(٤)]"[(٥)].

---

(١) النحل: ٩٩.

(٢) الأعراف: ٢٧.

(٣) تفسير الطبري (١٧/ ٢٩٤).

(٤) مريم: ٨٣.

(٥) تفسر البغوي (٣/ ٢٢٣).

التاسع عشر: هل كيد النساء أعظم من كيد الشيطان؟

يُشاع بين بعض الناس أن كيدَ النساء أعظم من كيد الشيطان؛ استناداً على ما ورد في بعض كتب التفسير لمعنى قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾[(١)]. وقد سُئل سماحة الشيخ ابن باز عن ذلك، فأجاب رحمه الله: "هذا حكاه الله عن صاحب يوسف العزيز ﴿كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ هذا نسبي، وكذلك قوله: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[(٢)] نسبي، بالنسبة إلى مَن استعان بالله، وتعوَّذ بالله، واعتصم بالله؛ فكيد الشيطان ضعيف". وأيضًا سُئل سماحة الشيخ صالح الفوزان حفظه الله عن ذلك، فأجاب: "الله أعلم؛ النساء لهن كيد، والشيطان له كيد، وقد يكون كيد النساء أحيانًا أقوى من كيد الشيطان، وقد يكون كيد الشيطان أحيانًا أقوى من كيد النساء، هذا بحسب المواقف، واختلاف المواضع". وسُئل فضيلة الشيخ أبي إسحاق الحويني رحمه الله عن ذلك فأجاب فضيلته: "سبحان الله! ضع كل جملة في سياقها يظهر لك

---

(١) يوسف: ٢٨.

(٢) النساء: ٧٦.

المعنى، أما بالنسبة لكيد الشيطان، فإن الله عز وجل قال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾(١)، فكيد الشيطان هنا في مقابل كيد الله فهو ضعيف فعلًا؛ لأنه في مقابل كيد الله عز وجل؛ لكن النساء في قصة يوسف عليه السلام ذُكِر كيدهن في مقابل كيد الرجال، ونَعَمْ، فإن الرجال لا يستطيعون أن يجاروا النساء أبدًا في هذا الكيد".

(١) النساء: ٧٦.





العشرون: حكم لعن الشيطان وفضل الاستعاذة بالله

لا حرج في لعن الشيطان، فقد بيَّن سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: أن لا حرج في لعنه، ولكن التَّعوُّذ بالله أحسن، التَّعوُّذ بالله من الشيطان الرجيم أفضل، وإن لعنه فلا بأس، فقد لعنه النبيُّ ﷺ. جاء في الحديث الصحيح أنَّ الشيطان تفلَّتَ عليه وهو يُصلي، فقال له: ألعنُك بلعنة الله، فإذا لعنه فلا بأس، وإن استعاذ بالله من شرِّهِ فذلك أفضل، وكلاهما جائزٌ.

ويمكن الإشارة في هذا المقام إلى قول النبي ﷺ: "لا يقولَنَّ أحدُكم: لعن اللهُ الشيطانَ، فإنه إذا سمعها تعاظَم حتى يصيرَ كالجبلِ، وليقلْ: أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ، فإنه إذا قالها تضاءلَ وتصاغر"[١]. وفي هذا السياق قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: "من وضع الشيء في غير موضعه ذم الشيطان؛ إذا الإنسان أذنب؛ ذُم نفسك، تُب إلى الله، واستغفر الله بدل لعن الشيطان وسبه، ارجع إلى نفسك وَلُمْها".

---

(١) الألباني، صحيح أبي داود، رقم: (٤٩٨٢).



الواحد والعشرون: الأذكار الشرعية حصن في مواجهة الشيطان

الناظرُ والمتأمل والمتدبِّر في الأذكار الشرعية يجدها هَيَّأت للإنسان أنجع الوسائل المناسبة لمواجهة عداوة الشيطان ودحره، وهي تعُمُّ كل حركات الإنسان وسكناته في يومه وليلته، ونومه ويقظته، وخروجه من المنزل وعودته، ودخول المسجد وخروجه، ومأكله ومشربه، ودخول الخلاء وخروجه، وحِلِّه وترحاله، وحتى قضاء حاجته وشهوته من أهله، فلكل حالة من هذه الحالات أذكار مخصوصة، وردت بنصوص ثابتة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهّرة، وهي محفوظة في كتبها الموثوقة، لتكون للمؤمن وقايةً وسلاحًا من شر الشيطان وأعوانه، وأشهرها: "كتاب الأذكار للإمام النووي رحمه الله". وتُعد الأذكار بمثابة وصفة طبية من طبيب ماهر خبير بأدواء الشيطان وخطواته، فمن وُفِّق للمحافظة عليها، فقد نال خيرًا كثيرًا، وعصمه الله تعالى من الشيطان، ومن فَرَّطَ وتساهل وَغَفل عن ذلك فقد أعطى الشيطان فرصة لإغوائه، فلا يلومَنَّ إلا نفسه.



الثاني والعشرون: هدف الشيطان الأكبر: تفكيك الأسرة وتمزيق المجتمع

من أعظم ما يسعى إليه الشيطان وأعوانه من شياطين الجن والإنس، هو تمزيق نسيج المجتمع، ونشر العداوة والبغضاء بين أفراده، ليعمّ التناحر وتسود الفوضى، وتنتشر الفواحش والمنكرات، ويُعد تفكيك الأسرة الواحدة من أولويات كيده، حيث يسعى جاهدًا لإشعال الخلافات بين الزوجين، وبثّ النزاع بين الأقارب والأرحام على اختلاف درجاتهم، ويُغري أتباعه ويوفر لهم الحوافز المعنوية إن بلغوا مرحلة التفريق بين الرجل وزوجه، كما ورد في الأحاديث النبوية من تعظيمه لهذا الفعل الخبيث، قال ﷺ: "إنَّ إبليسَ يضعُ عرشَه على الماء، ثم يبعثُ سراياه، فأدناهم منه منزلةً أعظمهم فتنةً، يجيءُ أحدُهم فيقولُ: فعلتُ كذا وكذا، فيقولُ ما صنعتَ شيئًا، ويجيءُ أحدُهم فيقولُ: ما تركتُه حتى فرَّقتُ بينَه وبين أهلِه، فيُدْنِيه منه، ويقولُ: نعم أنتَ!"[١]. ومن تأمَّل قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٨١٣).



الْمُؤْمِنُونَ﴾[١]، يتأكَّد مدى حرص الشيطان على إيقاع العداوة بين الناس في كافة المجالات؛ ولذلك قال ﷺ: "إذا كُنْتُمْ ثَلاثَةً، فلا يَتَناجَ رَجُلانِ دُونَ الآخَرِ حتَّى تَخْتَلِطُوا بالنَّاسِ، أجْلَ أنْ يُحْزِنَهُ"[٢]. فليحذر الناس من كيد الشيطان ومكره في العداوة والبغضاء وإشعال الفتن في كافة علاقاتهم، وقد تكون لأتفه الأسباب، ويقع بسببها خصومات ومظالم وعدوات خطيرة وعنيفة، تتمدد سنوات طويلة، والأولى المبادرة بالعفو والتسامح والصلح والاجتهاد في صد كل أبواب المنازعات من بدايتها قبل تفاقمها، والأولى الرجوع لأهل العلم والاختصاص في معالجة ما يظهر من مشكلات في أوساط المجتمع، وفي محيط الأسرة، والأقارب، والأرحام.

---

(١) المجادلة: ١٠.

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (٦٢٩٠)، صحيح مسلم، حديث رقم: (٢١٨٤)





الثالث والعشرون: العلم الشرعي سلاح في مواجهة الشيطان

العناية بالعلم الشرعي والحرص عليه من أهل العلم الثقات، من أهم ما يُعين المسلم على معرفة الأساليب الشرعية الصحيحة من القرآن والسنة لمواجهة عداوة الشيطان، فهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟! فإن العلم نورٌ يُبصر به المؤمن طريق الهداية، ويُميّز به بين الحق والباطل، وبين وساوس الشيطان وهدى الرحمن. ومن التوجيهات النبوية العظيمة التي تكشف أثر الطاعة في غيظ الشيطان، قوله ﷺ: "إذا قرأ ابنُ آدمَ السَّجدةَ فسجدَ اعتزلَ الشَّيطانُ يبكي يقولُ: يا ويلَه؛ أُمرَ ابنُ آدمَ بالسُّجودِ فسجدَ؛ فلَه الجنَّةُ، وأُمِرتُ بالسُّجودِ فأبيتُ؛ فليَ النَّارُ"(١). قال القرطبي رحمه الله: "وويل: كلمة تُقال لمن وقع في هلكة. وبكاء إبليس المذكور في الحديث: ليس ندمًا على معصيته، ولا رجوعًا عنها، وإنما ذلك لفرط حسده وغيظه

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (٨١).



وألمه بما أصابه من دخول أحد من ذرية آدم عليه السلام الجنة ونجاته، وذلك نحو مما يعتريه عند الأذان، والإقامة، ويوم عرفة"[١].

(١) المفهِم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، (١/ ٢٧٤).

الرابع والعشرون: الغواية الكبرى والتسلّط الشيطاني

إذا بلغ الإنسان في ضلاله غايته، واستسلم لوساوس الشيطان حتى تمكّن منه، تسلّط عليه في فكره وخواطره وسلوكه، فانحرف انحرافًا تامًا عن طريق الحق، فلا يرى أمامه إلا دروبًا مظلمة تعج بالفساد والضياع، من فجور وفسق وارتكاب للمحرّمات التي نهى الله عنها، زيّنها الشيطان له فرآها حسنة، وقد تصل درجة الغواية والعياذ بالله إلى أن يصبح الشيطان معبوده الأول؛ مؤتمرًا بأمره ومنتهيًا بنهيه. ومن أعظم الطَّوَام ظهور جماعة تُسمي نفسها: (عبدة الشيطان)، انتكاسة ما بعدها انتكاسة! هذا حال الإنسان إذا لم يسترشد بنور الله تعالى؛ فإنه يضل ضلالًا مبينًا، ومن لم يجعل له نورًا فما له من نور. وقد حذَّر القرآن الكريم من عبادة الشيطان، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[(١)]. قال السعدي رحمه الله: "أي: لا تطيعوه، وهذا التوبيخ، يدخل فيه التوبيخ عن جميع أنواع الكفر والمعاصي؛ لأنها كلها طاعة للشيطان

(١) يس: ٦٠.

وعبادة له، ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾، فحذرتكم منه غاية التحذير، وأنذرتكم عن طاعته، وأخبرتكم بما يدعوكم إليه"[١].

(١) تفسير السعدي (ص: ٦٩٨). ولمزيد من التعرف على جماعة عبدة الشيطان، انظر: فرقة "عبَدة الشيطان"، منهجها، واعتقادها، وكيفية إنقاذ من وقع في براثنها (https://islamqa.info/ar/133898).

الخامس والعشرون: حقيقة الاستعانة بالجن وادّعاء تسخيرهم

يظن بعض الناس أن هناك من البشر من يملكون القدرة على مؤاخاة الجن وتسخيرهم لقضاء بعض الحاجات أو القيام بأعمال خارقة، ويزعمون أن هؤلاء الجن مسلمون، وأنهم يُستخدمون في الخير، وقد تظهر على أيدي هؤلاء أمور خارقة للعادة تُغري العامة وتفتنهم، وفي هذا السياق سُئل سماحة الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: ما حكم الذهاب إلى بعض الرقاة الذين يقولون: إنهم يستعينون بالجن المسلم، أو بالملائكة؟ فقال سماحته: ما شاء الله الملائكة تخدمهم! الجن المسلم تخدمهم على طلبهم! هذا كله مكر من الشيطان، ولا يجوز هذا، لا يستعين إلا بالله، لا يستعين بالغائب، ولا بالميت، وإنما يستعين بالله، أو بالحي الحاضر الذي يقدر على إعانته، والجن ما سخروا إلا لسليمان عليه السلام ما سخروا الجن لغير سليمان.

السادس والعشرون: مداخل الشيطان وسبل الوقاية منها

يتربص الشيطان بالإنسان، مستغلًّا اللحظات المناسبة لإغوائه، متسللًا عبر مداخل متعددة للنفس البشرية. ومن أخطر هذه المداخل: الكبر والإعجاب بالنفس، حيث يدفع الإنسان إلى ازدراء الآخرين والتقليل من شأنهم، مما يزرع الفتن والعداوات، كما أن الغفلة عن العبادات وأبواب الخير تحرم الإنسان من البركة والهداية، وتجعله عرضة لمكائد الشيطان، لذا، فإن من الواجب على المسلم أن يتحلى بالتواضع، ويحرص على التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة، ليحكم إغلاق هذه المنافذ، ويحفظ قلبه من وساوس الشيطان. وهناك أيضًا مداخل أخرى، منها:

* الغضب؛ فعندما يغضب الإنسان يصبح في حالة من عدم التركيز، فيتسلَّط الشيطان عليه.

* الشبع؛ فإنه يُقوِّي الشهوة، ويُشغِل عن طاعة الله.

* العجلة وترك التثبُّت.



* حُب المال؛ فمتى تمكَّن من القلب قد يحمل الإنسان على طلبه من غير وجهه، ويؤدي به إلى البُخْل، ومنع الحقوق الواجبة.

* سوء الظنِّ بالمسلمين، فإنَّ مَنْ حكم على مسلم بسوء ظَنِّه احتقره، وأطلق فيه لسانه.

* عموم الجوارح؛ كالعين، واليد، والرجل، والأذن، فإذا لم يتَّقِ العبدُ ربَّه فيها، فقد تكون من أسرع المداخل للشيطان والعياذ بالله[١].

---

(١) اللجنة العلمية في مكتب الدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات في جنوب بريدة، موقع الألوكة.



السابع والعشرون: النفس الأمَّارة بالسوء عدو لا يقل خطره عن الشيطان

هناك عدوٌّ آخر لا يقل خطره عن الشيطان، وهو النفس الأمَّارة بالسوء، وهي أقل مراتب النفس الإنسانية ومكمن ضعفها، فخطرها عظيم، وقد يفوق خطرها عداوة الشيطان، والطامة الكبرى إذا اجتمع كلاهما على الإنسان، ولم يشعر بخطرهما، ولم يجاهد نفسه باتخاذ الوسائل الشرعية المناسبة في الأوقات المناسبة للتصدي لهما وإيقاف خطرهما، قبل أن يتمكنا منه ويلحقا به الأذى الذي قد لا ينفك منه إلا وقد لاقى ربه عز وجل خاسرًا دينه ودنياه وآخرته، نسأل الله السلامة والعافية(١).

---

(١) انظر: مقال: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى﴾[العلق: ٦] على صفحة الكاتب، موقع الألوكة.





الثامن والعشرون: اعتراف الشيطان بعداوته في خطبته يوم القيامة

في المشهد الأخير للشيطان يوم القيامة قبل المغادرة إلى جهنم وبئس المصير، وعندما يُقضى الأمر في مشهد مهيب يوم العدل بين يدي الله تعالى، يخطب ويعلن الشيطان اعترافه بجريمته، فيعلن أمام الخلائق أن الله "ﷻ" صادق، وأنه كاذب، وأنه لا لائمة عليه، وإنما الملامة على مَن اتبعه؛ فيندم حينها كلُّ من تبعه، ولكن حينذاك لا ينفع الندم! وقد صوَّر القرآن الكريم هذا المشهد أعظم تصوير بأروع بيان، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١]. قال ابن كثير رحمه الله: "يخبر تعالى عمَّا خطب به إبليس لعنه الله أتباعه، بعدما قضى الله بين عباده، فأدخل المؤمنين الجنات، وأسكن الكافرين الدركات، فقام فيهم إبليس لعنه الله

(١) إبراهيم: ٢٢.



حينئذٍ خطيبًا ليزيدهم حزنًا إلى حزنهم، وغبنًا إلى غبنهم، وحسرة إلى حسرتهم"[١].

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٢٠).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله والصحب الكرام، أما بعد:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَة فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[1]. فالحمد لله على نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى، الذي منّ عليّ بإعداد هذا المؤلف، والذي تضمن تنبيهات عدة للتصدي لعداوة الشيطان، بلغت ثمانية وعشرين تنبيهاً، استفدت منها ولله الحمد كثيراً، وكلي آمل أن يجد القارئ الكريم فيها بعض الفائدة ليكون على أهبة الاستعداد في مواجهة خطر إغواء الشيطان بأساليبه الخبيثة المتنوعة؛ فهو لا يملّ ولا يكلّ من سعيه ليلاً ونهاراً لإيقاع الإنسان في المعاصي والأثام ورذائل الأخلاق، والبعد عن طاعة الله، حتى يُورده مورد الهلاك، ويُشركه في المصير المشؤوم من الخسران والبوار، والعياذ بالله.

أسأل الله تعالى أن يردنا إليه رداً جميلاً، وأن يحفظنا جميعاً من شرور شياطين الجن والإنس. وآخر دعونا الحمد لله رب العالمين.

---

(١) النحل: ٥٣.

فهرس المتحويات




شبكة
الألوكة

